ثلاث شخصيات فى مسرحيات سوفوكليس

أذكر للكاتب الشهير فرنسوا مورياك عبارتين عندما أفكر فى مسرحيات سوفوكليس (٤٩٨ — ٤٠٦ ق.م) ، وأحاول أن أطوى تحت كلمات قليلة المعانى الفلسفية العميقة التى تحملها بين سطورها . وردت العبارة الأولى فى قصة عنوانها « ثوب الشباب » ، وهى : « فى كل إنسان شئ يفوقه بكثير » . وجاءت الثانية فى قصة « نهر النار » ونصها : « إنه كان يخشى منها على نفسه أكبر خيانة وهى أن تصبح غير التى ألفها » .

ويبدو لى أن سوفوكليس لم يطمح إلى أن يعلّمنا شيئاً غير هذا ؛ وهو يضع تحت أنظارنا أناساً عند مفترقات الحياة ، فى آونة عسيرة قاسية ، وهم عاكفون على تعرف شخصياتهم وضمائرهم ، ومقبلون على اللحظة الثمينة التى يثوب الانسان فيها إلى نفسه ، فيفطن لكل ما يستطيع أن يأتيه من أعمال وأن يعالجه من أمور يعرض لها ، ليحاول ، كما يقول أندريه جيد فى « ثيسيوس » ، أن « يمضى إلى أبعد مما بلغ » . وتلك القوة اللانهائية التى نحملها بيننا وبين أنفسنا فى أعماق ضمائرنا هى التى برع سوفوكليس فى التنبه إليها فى الشخصيات التى وجدها فى الأساطير والتاريخ ، وهو يعلم حق العلم أن المواقف الحرجة الخطيرة ، والأهوال الشاقة العسيرة ، هى وحدها التى تعين الانسان على أن يدرك حقيقة نفسه ، وهى تلقى له القناع عن عالم داخلى كان يجهله ، وعن إرادة حاسمة تريد أن تعمل دون أن تقوى أية عقبة على ردها عن العمل .

وأنا إذا ذكرت كلمة « الارادة » لا أقصد قطعاً ذلك الميل إلى الالتزامات الخلقية والقيود الفكرية ، الذى يحبب إلى الانسان الحلول الصعبة ، ويدفعه إن لم يستدرجه على رغمه ، إلى التصرفات التى يأباها عقله وتنفر منها طبيعته . فالإرادة التى يتكون منها الركن الأساسى فى مسرحيات سوفوكليس إنما هى الحرية التى تقيم وزناً للقوة الإلهية فى العالم ، وتترك لإرادتنا فى الوقت نفسه ، مجالا واسعاً لتقدم على ما تحب وتحجم عما تأنف .

ليست الحرية فى آثار إيسكيلوس، وبنوع خاص فى « الأورستيا »[١] بالشئ الواضح البارز الذى يسيطر على ذهن القارئ أو الشاهد ، ولكنه ، على عكس ذلك ، وجود قدر محتوم يفوق الأبطال ويسحقهم . فكلوتيمسترا وألكترا وأورستيس يشبهون الدمى قيدت أطرافها بالخيوط واضطرت إلى حركات معينة . فالغضب السائد على قصر أجامنون يريد أن يثأر لقتل فتاة[٢] ؛ ولا بد له من آلة ، فلتكن كلوتيمنسترا تلك الآلة ، ولتقدم على قتل زوجها ؛ وهى تعلم أن هناك قوة تقودها إلى ارتكاب الإثم ، ونسمعها تتحدث عنها فى موقفين من المسرحية قائلة : « هذه القوة بين أحشائنا تقوى ظمأنا إلى الدم » ثم « تمضى الأشياء كما يجب أن تكون » . وفى مسرحية « الصافحات » يقول رئيس الجوقة لأورستيس : « إلى العمل ، واخضع لتجربة القدر » ، وفى مسرحية « المنتقمات » ، يوجه أبولون حديثه إلى أورستيس ليحميه من شر آلهة السوء والثأر قائلا : ألست أنا الذى دفعك إلى طعن أمك ؟

ومن هنا كان اعتقادنا أن البطل الرئيسى فى مسرحيات إيسكيولوس ليس رجلا أو امرأة مثل فيلوكتيت أو ديجانير (زوج هركل) فى آثار سوفوكليس ؛ فالأدوار الهامة فى آثار إيسكيلوس تقوم بتمثيلها آلهة الأولمب عوضاً عن البشر ، وقد تستعين الآلهة بالمخلوقات لتحقيق إرادتهم على حين يلتمس البشر مساعدة الآلهة فى مسرحيات سوفوكليس ليعينوهم على ما يريدونه من أهداف .

ولننتقل الآن إلى هذه المسرحيات لنواجه الأبطال الرئيسيين ، وهم يقاسون المتاعب والمعضلات التى تعرض لهم ؛ ولنرى مثلا أهناك مواقف لم يبرهنوا فيها على تمسكهم بالمبادئ الخلقية وبالمثل العليا فى الحياة ؛ وهل حدث لهم مثلا أن يقبلوا على تلك الخيانة الكبرى التى وصفها موريالك بأنها حالة يكون فيها الانسان على غير ما ألف أن يكون أمام ضميره وأمام الناس .

وليس فى نيتى أن أعطى فكرة شاملة عن آثار سوفوكليس ولا أن أعرج على دراسة أخلاق الأبطال وطباعهم ؛ وكل ما يعنينى فى هذا المقال أن أتبين كنه بعض الانفعالات النفسية . وأنا إذا فعلت ذلك لا يفوتنى أن أفطن لما

---

(١) ثلاث مسرحيات تصور مصرع أجامنون بيد امرأته وانتقام ابنه منها ثم معاقبة ابنها على هذا الانتقام .

(٢) هى ايفيجينى التى ضحى بها أبوها أجامنون لتسمح له الآلهة بعبور البحر إلى طروادة .

يتعرض له مثل ذلك البحث من نقص و إخفاق لكثرة العوامل الخفية التى تدفع الانسان إلى العمل والكلام ، والتى يصعب على الباحث أن يخضعها لأساليبه فى التحرى والنقد ، إلا إذا كان له بها دراية كاملة وتجربة شخصية ؛ والشئ الوحيد المشجع هو أننا نعرف مع سوفوكليس ، كما نعرف مع راسين ، منذ المشهد الأول من اثارها ، جوهر الموضوع ، وحقيقة الصراع الداخلى الذى تتكون منه عقدة المسرحية ، فلا تلبث تلك المشكلات النفسية وتلك المواقف الشاذة المؤلمة التى يعانيها أبطال القصة أن تثير فى نفوسنا حب الاستطلاع لحاد لشدة ما تحتوى عليه المأساة من عنف وقسوة .

فلننظر إلى شخصية أياس مثلا فى المسرحية التى أطلق عليها سوفوكليس اسم هذا البطل : إنه يعد نفسه فى مأزق وفى حالة نفسية يرثى لها ؛ فقد أهدى الجيش اليونانى إلى أوديسيوس أسلحة أخيل ، مثيراً بذلك غضب أياس وسخطه وعزمه على سفك الدماء ، وقد ضلته أثينا ، فأخذ يعمل بسيفه فى ماشية اليونانيين ، وهو يخالها جماعات من الرجال ؛ وقد أتمله منظر الدماء السائلة بغزارة حوله ؛ ثم يعود إليه صوابه ، فيفطن لما أقدم عليه ، ويتبين الأمور على حقيقتها ؛ وهو إذا أمعن النظر فى الماشية التى نحرها ، اضطرب وارتعد ؛ لأنه سيصبح أضحوكة أعدائه .

وينبغى هنا على الشاهد أو القارئ أن يضع نفسه فى شخصية أياس ليلحظ ما فى موقفه من يأس وعذاب ؛ فمن هو هذا الرجل ؟ إننا نعرفه بما وصفه به هوميروس فى الالياذة من شجاعة وقوة ، ومن الصورة التى تركها لنا عنه سوفوكليس فى مسرحيته . فاذا تحدث عنه أوديسيوس وصفه « بأياس ذى الترس المعروف » [1] وهو يعلم قدر جرأته وبطشه ؛ ولذلك يرتعد عندما يتوقع خروجه من الخيمة ، ويستحلف أثينا : « ألا تطلب إليه البروز ». وتسأل الآلهة أوديسيوس : « أى رجل يمكنه أن يكون أعقل منه وأشجع منه إذا جد الجد ؟ » فيجيبها : « لا أعرف أحداً يعدله عقلا وبأساً » . و إذا تحدث أياس عن نفسه قال : « أنا الذى يفاخر بأن طروادة لم تر مثله أحداً ». فكيف لا يجذب مثل

---

(١) العبارات التى نستشهد بها فى مسرحيتى « أياس » و « أويديبوس ملكا » مقتبسة من ترجمة الدكتور طه حسين بك لسوفوكليس فى كتابه « من الأدب التمثيلى اليونانى » .

هذا الرجل غضب الآلهة ! ولا بد لمثل هذه الكبرياء الفادحة المهينة أن تنزل بصاحبها أشق العذاب ؛ ولكن لم تكن هذه الضرورة كافية لتحط من شأن أياس ، ولتضعف إيمانه بحقه ؛ فعزة النفس تشرف صاحبها ، وإن أياس من الذين يقبلون الشدة ويواجهونها بشجاعة ، ولا يعرضون ، بينهم وبين أنفسهم ، وبينهم وبين الناس ، عن الطريق الذى دأبوا على سلوكه ؛ والمثل العليا التى يستنير بها أياس ويسترشد بها فى تصرفاته واضحة ، لا يعتريها أى تردد ، وهو يقول : « إنما قصارى الرجل الكريم أن يعيش ماجداً أو أن يموت كريماً. وهو يريد قبل كل شئ أن يكون كريماً ، وأن يقاوم كل عقبة حتى لا تحدثه نفسه بأية خيانة ؛ فهو لا يرضى بحكم أتينا ، ولا أن يتخذ من السكوت حلا يلجأ إليه وراحة ينعم بها ، ولكنه على ذلك لا يئن ولا يتظلم ، وهو يقول : « إن الشكوى لا تليق إلا بالجبناء والضعفاء » ؛ أما هو فمحارب ، مقدام ، وجرئ لا يلازمه إلا النجاح ، فكيف يتراجع ويسلم نفسه للعدو ؛ وهو يؤثر الانتحار على عيش تنغصه السخرية والاهانة ؛ وقد يحرم عليه احتقاره لأعدائه أن يترك لهم فرصة الانتصار عليه . كلا ! إنه لن يسمع تهكمهم ، ولن يعرض نفسه لأذاهم ؛ وما من حل أمام أياس سوى الانتحار ؛ فهو يعلم ذلك ، ويقدر أهميته ، ويتنبأ بوقعه فى نفوس من يتركهم ، وهو يذكر ابنه الذى يحبه ، ويرق قلبه لاستعطاف زوجه ، ولكن كل ذلك لا يبقى له أثر بمجرد اصطدامه بتلك القوة الداخلية التى أشرنا إليها فى مطلع المقال ، والتى تفوق الانسان ، ولا ترضى إلا بأن تكون لها الكلمة الأخيرة فى كل جدال أو نزاع .

وهناك وجه شبه بليغ بين شخصية أياس ومسرحيته ، وشخصية فيلوكتيت ومسرحيته : إنه معذب مثل أياس ، لدغه ثعبان أثناء حملة طروادة ، فخاله اليونانيون مقصوداً من الآلهة ، وضاقوا بجرحه ، حتى إنهم نفوه إلى جزيرة ليمنوس ؛ فعاش بها عشر سنين فى عزلة وتقشف تام لخلو منفاه من السكان . وفى المشهد الأول من الفصل الثانى ، يقص فيلوكتيت على نيوبتوليم قصة بؤسه ؛ فلا يصعب علينا أن نتصور ونقدر عذابه ؛ فهو يقاسى ألم العزلة المادية ومشقة الوحدة النفسية فضلا عن دائه الذى يشتد عليه فى كل يوم . أما الأخبار التى يحملها إليه نيوبتوليم فانها تزيده حزناً ويأساً،

لأنها تعرفه موت أخيل وأياس وأنتيلوك ، وشقاء نستور . فيمتزج صوت هؤلاء الأعزاء بصوت الوطن ، وتصبح حياته لا تطاق ؛ إنه يريد أن يعود إلى بلاد اليونان ليرى أباه ، ويتوسل إلى نيوبتوليم ألا يهجره : فيرضى ؛ ويبتهج فيلوكتيت ، ويتغنى بسعادة ذلك اليوم . ولكنه — وهنا نلمس أدق ناحية فى المسرحية — يعلم أن اليونان فى حاجة إليه ليحالفهم النصر فى حرب طروادة ؛ فيحدث لساعته انقلاب قوى فى نفسه ، ويتحول الفرح إلى حزن ، والأمل إلى يأس ، والابتسام إلى عبوس ؛ فقد زال القناع عن كل شئ ،وظهرت له الأمور ، كما ظهرت لأياس ، واضحة ، جلية ، قاسية : أياس قد ضللته أثينا ، وفيلوكتيت خدعه الناس ، وعاملوه كما يعامل الانسان الآلة التى يلجأ إليها ثم يتركها فى زاوية إذا فرغ من استخدامها .

أما هذا الرجل فانه ، بالرغم من الآلام الطويلة التى أوهنت بدنه ، يحتفظ بقوة إرادة لم يضعفها ولم يمسها أى سوء ؛ فهو يعلم أنه لن يلين ، وأن اليونان الذين أهانوه وأذاقوه ألواناً من الشقاء لم تطرق بخاطره ، لن ينالوا منه شيئاً . ونيوبتوليم ، وهو أكثر حكمة أو بالأحرى أقل بؤساً ، يتحدث عن « الضرورة » وعن « القوانين » ، ولكن فيلوكتيت لا يفهم هذا الحديث مع إدراكه أن حياته متعذرة فى لمنوس إن هو بقى على عصيانه ، وقد جرده نيوبتوليم من قوسه وسهامه . وفى موضع بعينه من المسرحية عند ما يأخذ ، أوديسيوس فى تأنيبه ومعاملته بعنف ، يقول فيلوكتيت الأعزل القوى فى آن واحد ، هذه العبارة التى تهمنا فى هذا البحث : « ما أشقانى ! ألم يجعل أبى منى رجلا حرا ؟ » ثم هو يفكر مثل أياس أن يلقى نفسه فى أحضان الموت بمحض إرادته وحريته : « سأندفع إلى هذه الهاوية لأشج رأسى وأنا أقع من أعلى تلك الصخور » .

غير أن فيلوكتيت حريص على صداقة نيوبتوليم ، وربما أبى أن يكون إلى النهاية الرجل المنعزل الذى يعاند ويلح فى امتناعه ، ويحرم نفسه ، تحت تأثير الكبرياء ، لذة المغفرة وعذوبة الوئام ؛ فقد عاونه إيمانه بحريته على معارضة اليونان وحمله عليهم . أما الآن ، وقد طرق أذنيه صوت الصديق المقنع ، وسعت إليه الآلهة تستميله وتستعطفه ، فانه يستمد من حريته مايساعده على أن يأخذ نفسه بشئ من الرفق والهدوء ، وأن يجيب اليونان إلى مايطلبون ؛ وإن كان فى تصرف فيلوكتيت وفى تفهمه للحرية شئ أقرب

إلينا مما يصدر عن أياس ؛ فانه من الخطأ أن نؤثر الأول على الثانى ؛ ليس لنا أن نفصل بينهما ، ولا أن نحكم عليهما ، وكل ما يعنينا هو أن الإرادة فى المسرحيتين هى العنصر الأساسى والعامل الجوهرى .

أما أويديبوس فيكفى أن يلفظ اسمه ليسبح خيال السامع فى عالم الأساطير الخالدة التى طالما استقى منها الكتاب موضوعات مسرحياتهم أو بعض عناصرها. ونحن إذا عكفنا على مسرحية « أويديبوس ملكا » نجد أنفسنا أمام رجل عطوف يؤلمه منظر البؤس الذى يسود البلاد التى يحكمها ، وهو لا يبخل بشئ فى سبيل معالجته وإبداله بأسباب السعادة والرفاهية ، لينعم السكان ، ولا سيما المحرومون منهم ، بذلك الفرح الساذج البرئ الذى يشيع فى النفس إذا زال عنها ألم الحاجة والفقر وثقل البؤس والقنوط . نسمعه يقول متحدثاً إلى شعبه : « لست أجهل أنكم تألمون جميعاً ، ولكن ثقوا بأن ليس منكم من يألم كما آلم » . وهو على أتم استعداد ليضحى من تلقاء إرادته بكل شئ لينسيهم وطأة ذلك العذاب المضنى ؛ يستنجد كريون بأبولون ، ويتضرع إليه، فيأمر الإله بالتحرى عن قاتلى لايوس وينفيهم عن البلاد أو الحكم عليهم بالقتل ؛ وهنا يصمم الملك أويديبوس ، فى شئ من الكبرياء الواضحة ، (وقد يؤاخذه عليها كريون فيما بعد) ، وهو يسعى وراء مصلحة غامضة قوية ، على أن يرجع إلى « المصدر » ، ليكتشف المجرم . وقد انقضى زمن طويل منذ ارتكاب الجريمة ، ولكن الملك لا ييأس ، بل يتسلح بذلك الصبر العجيب الذى يتصف به جميع أبطال سوفوكليس . وربما فكر البعض أن هناك إرادة إلهية عبر عنها أبولون لابد لها أن تنفذ ، وأن تعيد الأمور إلى نصابها ، كما هى الحال فى آثار إيسكيلوس . وقد قدمنا فى مطلع المقال الجواب على هذا الاعتراض عندما أشرنا إلى البون الشاسع بين مسرحيات الشاعرين . ليس أويديبوس لعبة تتناولها الآلهة ، وهو يعلن ذلك حينما يقول : « قد أنبأنا بذلك وحى الإله . كذلك أريد أن أنفذ أمر الآلهة وأن أثأر للملك المقتول » . ففى استطاعة أويديبوس إذن أن يتحرر من إرادة أبولون ، وهو يقر بالحاح أنه إذا أنصت إلى صوت الآلهة ولبى دعاءهم ، فانما يفعل ذلك بمحض إرادته .

وعندما يكشف تريسياس للملك أنه هو القاتل الذى أمر بالبحث عنه ،

يبرهن أويديبوس على مقاومة نادرة . تأخذه الدهشة من كل صوب ، فتنفر نفسه وتشمئز ، فهى ثائرة أكثر مما هى مضطربة ؛ ولا يفقد الملك وعيه بل يهدأ روعه ، وتمر بخاطره الفروض والتأويلات ؛ فهو يظن فى أول الأمر أنه فريسة مؤامرة دبرها كريون ، وأن الغرض من حديث تريسياس هو إيقاع الريب فى النفوس ، وخلق جو مضطرب مسمم حول العرش . وإذا أتت يوكاستيه بالبينات والأدلة التى تزيل الغموض ، تغمر أويديبوس موجة من الحيرة والقلق ، ويظهر ذلك فى حوارهما السريع المضطرب ؛ ويشعر القارئ حينئذ أنه إزاء رجل أوشك أن يتراجع وأشرف على الهلاك ، ولكنه يحاول ، وقد أثر فيه اليأس ما أثر وأحاطه القنوط من كل وجه ، أن يبذل آخر مجهود ليصون عزة نفسه ، ويبقى رجلا كريماً حرا . يريد الملك أن يستزيد علماً وأن يحصل على أوفر قسط من الحقيقة ، وألا يرده شئ عن معرفة القاتل ، فيحضر الراعى الذى كان أول من خبر الناس باغتيال لايوس ويسأله ويستمع له .

تحاول يوكاستيه ، وهى لا تعير أهمية كبيرة للتنبؤات ، أن تصرف الملك عن ذلك الإلحاح ؛ ولكن أويديبوس يؤمن بحريته ، ويتمسك بها ، ولا يرضى أن يتنحى عما تبيحه له من دقة فى التحرى ومداومة على الاستطلاع ؛ وهو يقول ليوكاستيه : « لا سبيل إلى طاعتك ؛ لابد من أن يتبين هذا اللغز » . ونحن نعلم جليا تلك الحقيقة المحزنة التى بلغها الملك بعد جهد طويل ، ولسنا فى حاجة إلى الامعان فيها ؛ ويكفينا أن نلاحظ ، وذلك كل ما نبتغيه ، أن أويديبوس لم يرتكن إلى شئ كما ارتكن إلى حريته من أول المسرحية إلى آخرها ، من اللحظة التى دعاه فيها بؤس الرعية إلى التفكير والتأمل والسعى وراء الحقيقة ، إلى وهلة الشؤم التى دفعته إلى عالم الظلمة الذى اختاره لنفسه ، وإن لم ينكر أثر أبولون فيما يقاسى ؛ فانه يعترف بأمر خطير إذ يقول : « دفعنى إلى ذلك أبولون ، نعم أبولون أيها الصديق هو مصدر آلامى التى لا تطاق ، ولكنه لم يفقأ عينى إلا أنا وحدى » . وعندما تفزع الجوقة لصورة الملك الضرير وتجرؤ على أن تنكر لون النكال الذى ألحقه بنفسه ، تعاود أويديبوس نزعة كلها عظمة وجلال ، فينفعل لها ويقول : « لا تحاول أن تظهر لى أنى كنت أستطيع أن أفعل خيراً مما فعلت » .

ولم ينته هنا عهدنا بتلك الحرية التامة التى يحتفظ بها الملك فى صميم بؤسه ،

فانها تظهر فى أكثر من مناسبة فى مسرحية « أويديبوس فى كولونا » ؛ ولكنها تختلف إلى حد ما عن الحرية الثائرة الصاخبة التى ألفناها فى « أويديبوس ملكا » ، فقد زال عنها عنفها ، وحل مكانه ذلك الهدوء الذى يتصف به وجه المرء وصوته وما يصدر عنه كلما أيقن بحسن نيته وبطهارة قلبه . بالرغم مما أقدمت عليه يداه من إثم أوجدته الظروف وأبدعه الدهر شر إبداع .

والمسرحية تظهر لنا « أويديبوس البائس » كما تصفه ابنته ، وقد بلغ كولونا بعد هيام طويل ، تقاذفته فيه المدن الواحدة تلو الأخرى ؛ وأنتيجونا تصحبه منذ أصبح ضريراً ، ولم يطع الشيخ إلا ابنته . ومما يستوقفنا فى تلك المسرحية أن الملك الذى كان يضيق بنصائح زوجه ، ويأبى أن يعطى أى حساب عن تصرفاته ، يقول لأنتيجونا ، على مسمع من أهل كولونا ، وهم يزجرونه عن مكان آلهة الانتقام المقدس : « ما العمل يا ابنتى؟ » ثم يستسلم لرأيها .

ولكن الويل لمن يعرض أمامه لسيرة ابنيه اللذين عاونا على نفيه ووافقا عليه بأمر رسمى صدر عنهما ؛ فانه لا يقوى وقتئذ على كبح شعوره ، وعلى رد ذلك اليأس الشديد الذى ينصب عليه ويتغلغل فى نفسه المعذبة . تقبل عليه أسمينا وتنبئه بأن هناك نزاعاً بين إيثيوكليس وبولينيس ، فيجيبها بكبريائه المألوفة قائلا : « لن أدافع عنهما أبداً » ؛ وهو يعلم أيضاً أن كريون أوشك أن يأتى إليه ليرده إلى وطنه ؛ لأن قبره مصدر يمن على الشعب الذى يناله ، ولكن أويديبوس واثق أنه لن يلين ولا يخضع ، مثله فى ذلك مثل من صادفناهم فى المسرحيات السابقة ، وكأننا بفيلوكتيت آخر يمتنع عن العودة إلى وطن أساء إليه ، وآذاه فى حريته ، ودفعه عن أرضه وقصره ، ثم يجرؤ ، ساعة الحاجة إليه ، على استدعائه . فأويديبوس على عكس ذلك يثبت حريته ، ويقدم نفسه هدية بائسة لثيسيوس الذى رحب به وأكرمه .

يحضر كريون ويحاول أن يقنع أويديبوس بضرورة العودة إلى ثيبة ، فينشأ جدال بين الماكر القوى والضرير الضعيف ؛ والكريم هو أويديبوس لأنه يتمتع بحرية أكبر من حرية كريون ؛ فكريون رسول أهل ثيبه ، مقيد برغبتهم ، وقد تنحى عن شخصيته فى سبيل إرضائهم . أما أويديبوس فهو هو ، بعيد كل البعد عن نزعات الشعب وأوامره والتزاماته ؛ وهو يشعر أن كريون يريد أن يباعد بينه وبين أنتيجونا وأسمينا ، وأنه ربما فكر فى خطفه وإعادته

رغم إرادته ، إلى ثيبة ، ولكنه لا ينفعل ولا يتقلقل لتهديد كريون ونذيره ؛ بل يبرهن على نفس القوة عندما يأتيه بولينيس ، بعد أن طرده أخوه من ثيبة ، ليستغفره ويستنجد به .

هكذا يظهر أويديبوس فى مسرحياتيه لسوفوكليس بشخصيته القويةالوقور التى استطاع القضاء إخمادها دون أن يقوى على إخضاعها .

إذا رأيتنى أحرص على درس بعض الشخصيات فى مواقف قليلة معينة ، فانما فعلت ذلك لتألف قليلا ما فى تلك المسرحيات من معان جوهرية ثمينة ، ولتلمس حقيقة ربما ظهرت غريبة فى أول الأمر ، وهى أن هناك شبهاً أساسياً بين أبطال سوفوكليس ؛ فمشكلتهم الداخلية الخفية هى نفس المشكلة ، إذا صرفنا النظر عن الأحوال والظروف والحوادث والعناصر الخارجية التى تختلف مع اختلاف الشخصية والبيئة والعمر ، وهى مشكلة كل فرد عالم بقيمته الانسانية ، وعازم على أن يقاوم الشدائد الناشئة عادة عن احتكاكه بغيره ، وعلى أن يقهرها مهما يكلفه ذلك من تضحية وعناء . ويبدو لى أنه من الخطأ أن نصفهم فقط بالثائرين الغاضبين الذين لا يقبلون الحياة ، ويرمون ، على كل حال ، إلى تغييرها أو إزالة أثرها ؛ لأنهم فى الواقع لا يأنفون إلا الحياة الذليلة التى تهينهم فيما بينهم وبين أنفسهم ؛ وإيمانهم بالعدل المطلق هو الذى يسمو فى قلوبهم بحرصهم على حريتهم . وما أنين اليأس الذى يصدر من ضمائرهم إلا سؤال موجه إلى الآلهة والانسانية عن معنى البؤس وأسبابه . وإذا غاب الجواب أو جاء مخالفاً لما دأبوا عليه من حقائق الحكمة والعقل فانهم يلجأون حينئذ إلى أقصى الحلول وأخطرها ؛ وهم لا يضعون شيئاً إلا على بصيرة ، وبعد إمعان طويل ؛ وربما سبق السكوت أغلب تصرفاتهم ، وكأنهم ، فى تلك اللحظة الصامتة ، ينصرفون عن العالم الخارجى ليتبينوا بوضوح حقيقة أمرهم ، ولتصل تلك الحقيقة إلى أعماق قلوبهم ، ثم يطفون فوق سكوتهم وتفكيرهم ، إن صح هذا القول ، ويذعنون آخر الأمر إلى هذا الإحساس القوى الذى يقودهم فى الحياة ، أى شعورهم بالحرية التى هى أعز شئ عندهم ، حتى لو جنت عليهم فى بعض الأحيان .